# كتاب التبصر بالتجارة

تأليف

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق

أ/ حسن حسنى عبد الوهاب

الناشر
شركة نوابغ الفكر

الطبعة الاولى
1431هـ - 2011
حقوق الطبع محفوظة للناشر
شركة نوابغ الفكر
هاتف:25936402 ،فاكس: 27865553
E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الحاجظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، 780-869
كتاب التبصر بالتجارة / تاليف : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق: حسن حسني
- ط 1 – القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2011
76 ص ، 24سم
تدمك :1-99-6305-977-978
1- التجارة
أ- عبد الوهاب ، حين حسني (محقق)
ب- العنوان
ديوى : 380

رقم الايداع :2011/17099

بسم الله
الرحمن
الرحيم

# توطئة للناشر

الجاحظ بصرى المولد والوفاة، بالبصرة وُلد وبها شبّ ودرج، وفيها دوَّن غالب تآليفه.

ما بين نصفى القرن الثانى والثالث نبع الجاحظ حينما كان «العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق[1]»، وكيف لا تكون كذلك وهى عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسا أو جنوة لإيطاليا وليفربول لبلاد الإنجليز، بل امتازت البصرة على تلك المراسى بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب، ومحط رحال الشرق والغرب، من مجاهل الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها أن تتلقب «بقبة الإسلام» كما سماها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الإزاق ومختلف المكاسب والمطالب.

فاخر خالد بن صفوان البصرى ببلده لدى عبد الملك بن مرون فقال:

---

(١) ثمار القلوب للثعلبى ص ١٢٧، ومعجم البلدان لياقوت ٤٢.

«يغدو ساكنها قانصًا فـيجىءُ هذا بالشبوط والشيم، ويجيئُ هذا بالظبى والظليم، ونحن أكثر الناس عاجًا وساجا، وخزًا وديبجًا[1]».

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال:

«ومن أتى وادى القـصر بالبـصرة رأى أرضًـا كالكافـور، ورأى ضبـابًا تجترش، وغزلانًا وسمكًا وصيادًا، وسمع غناء ملاّح فى سفينته، وحِدا جمّال خلف بعيره[2]».

وقد قال الخليل بن أحمد البصرى قبله[3]:

زر وادى القصر تعـم القصر والوادى  فى منزل حـاضر إن شـئت أو باد

ترَ به السـفن والظمـان حـاضـرة  والضب والنـون والملاح والحـادى

اشتهر أهل البصرة من قـديم بالتطوّح فى الآفاق والترامى على الأسفار البعـيدة والضـرب فى مناكب الأرض طلبًا للرزق والتـماسًـا للثراء مـا جعل الجاحظ صرح: «بأنه ليس فى الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيـا إلا وأنت واجد به البـصرى والمدنى[4]» وقد اتفـقت كلمة السائحين وأصحـاب الرحلات على بُعد همة البصريين فى التـرحال وغوْرهم فى الاتراب حتى قال أبو بكر الهمذانى - وناهيك به من خبير: «وأبعد الناس

---

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤.

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩.

(٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩.

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠.

نجعة فى الكسب بصرى وحِميَرى، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى فيهما بصريًا أو حميريًا»[1].

ومن البديهى أن من كان فى ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطاع الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير، ويشاهد عيانًا ما يجلب إلى العراق من أطراف البلاد، وما يصدر منه إلى سائر الآفاق، لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الأحجار الكريمة، والأعلاق النفيسة والطرائف الثمنية والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها فى عصره، على أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها، بل زاد فى البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمغشوش من العطور والعقاقير، وفرّق بين العالى منها والمتوسط والردى، فأضاف إلى الخبرة التفنن، وإلى المعرفة التبصر، وهو عين موضوع كتابه «التبصر بالتجارة» الذى ننشره اليوم.

فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمة تهم أرباب الصناعة والتجارة، كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الإسلامى زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك.

وهى لعمرى إفادة ذات شأن، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الإسلام الكبرى - لا سيما بغداد - من الشجر فى العمران وتوسع سكانها فى وسائل البذخ والترف. ما جعل تجارها فى حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وإن بعُدت وركوب الأخطار والمشاق فى سبيل استجلابها، وبذل النفس والنفيس فى اقتنائها إجابة لرغبة الأغنياء وتسديدًا لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الخدور!

(١) كتاب البلدان للهمذانى (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١.

نعم! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هى عمدتنا الآن فى معرفة العلائق التجارية قديمًا وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج، منهم ابن الفقيه الهمذانى، وابن رسته الأصبهانى، وأبو زيد البلخى، والأصطخرى، وابن حوقل، وابن البشارى المقدسى وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات، غير أنا لا ننس أن الجاحظ هو الذى فتح لهم باب التأليف فى تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج، فهم فى الحقيقة عيال عليه - وإن توسعوا بعدُ - ومقتفو أثره ومقلدوه، الأمر الذى جعل أدهم - وهو المقدسى - يقول: «وإذا ما نظرتَ فى كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ[1]».

وهى لعمرى شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ فى خوض هذا اليمدان، وليس هو بأول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذى لا ساحل له.

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادى برسم أحد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته بالتأليف والإهداء إليهم، فهو - وإن لم يسمه - أحد الأربعة: محمد ابن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، وقاضى القضاة أحمد بن أبى دؤاد، والوزير الفتح بن خاقان، وإبراهيم بن العباس الصولى، وأرانى فى غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ، وإن لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة فى فهرست ابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت، لكن أبو منصور الثعالبى[2]

---

(١) راجع كتاب «أحسن التقاسيم، فى معرفة الأقاليم» للمقدسى - طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١.

(٢) «ثمار القلوب».

والعلامة النويرى[1] تكفلا بتعريفنا بها ونقلا جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها إلى مؤلفنا الكبير حسبما نشير إليه فى محله.

على أن «التبصر بالتجارة» ليس بأول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مولفاته فإن «خصائص البلدان له» - وهو غير «كتاب البلدان» - لم يرد اسمه بعدُ فى قائمة ما نسب إليه ياقوت فى معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبى كثيراً[2].

أجل! كثيرًا ما يستعمل الجاحظ ألفاظًا دخيلة فى غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها فى رسالته هذه فى التعريف بمسميات أجنبية، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتَّاب والمؤلفين فى عصر الدولة العباسية، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعرّبات جلها فارسى المأخذ لقرب بلاد إيران من العراق، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعرّبات الواردة فى كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخى فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها فى مجلة المجمع العلمى الدمشقية[3].

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد، ويا حبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجمًا لغويًا يوضح لنا به السبيل إلى فهم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التى

---

(١) «نهاية الأرب».

(٢) ثمار القلوب ص ٤٣٨ و ص ٤١١.

(٣) تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمى العربى، جزء تشرين أول سنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده.

كانت مستعملة فى القرون الوسطى الإسلامية مثلما فعل لامستعرب الهولندى دوزى فى «مستدركه على المعاجم العربية»، وهى أُمنية طالما أبداها كل من يعانى استقراء تصانيف الدور العباسى.

أما الأصل المنقول عنه فهو مثبت فى ضمن مجموع خطى محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطرين) فى حاضرة تونس، وهذا المجموع يحتوى على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات، ثم رسالة حافلة فى الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسى الشهير أبى عبد الله على بن مقلة، ثم كتاب «التبصر» هذا، ثم شرح قصيدة أبى الفضل ابن النحوى التوزرى المعروفة بالمنفرجة من وضع الإمام علاء الدين على بن جمال الدين البصرى الشافعى نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣هـ، وفيما يظهر أن كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامى معتاد تغلب عليه الصحة إلا فى الأعلام والدخيل والمعربات، وبالرغم من بحثى الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فإنى لم أظفر بها فاقتصرت على إيراد ما هو موجود هنا.

وقد بذلت جهدى فى إكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذى يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد، وهو سبحانه ولى التوفيق.

وفى الصفحة التالية يرى القارئ ذلك الأثر الجليل.

# النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى:

سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف فى البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة، والجواهر الثمينة الرتفعة القيمة، ليكون ذلك مادةً لمن حنكته التجار، وعونًا لمن مارسته وجوه المكاسب والمطالب؛ وسميته بكتاب «التبصر» والله ولى التوفيق.

زعم بعض المحصلين من الأوائل أن الموجود من كل شىء رخيص بوجدانه، غال بفقدانه إذا مست الحاجة إليه.

وقالت الروم: إذا لم يرزق أحدكم فى أرض فليتحول إلى غيرها.

وقالت الهند: ما من شىء كثر إلا رخص ما خلا العقل فإنه كلما كثر غلا[1].

(١) نسب أبو منصور الثعالبى هذه الكلمة إلى نصر بن سيار والى خراسان، لكنه ورد لفظ «الأدب» «بدل» «العقل» (كتاب الإعجاز والإيجاز - طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٩).

وقالت العجم: إذا لم تربحوا فى تجارة فاعتزلوا عنها إلى غريها، وإذا لم يرزق أحدكم بأرض فليستبدل بها[1].

وقالت الفرس: الرابح فى كل سوق هو البائع لما ينفق فيها.

وقالت العرب: إذا رأيتم الرجل قد أقبلت عليه الدنيا فألصقوا به فإنه أجلب للرزق.

وقيل لبعض المياسير: بِمَ كثر مالك؟ قال: ما بعت بنسيئة قط، ولا رددتُ ربحًا وإن قل، وما وصل إلىَّ درهم إلا صرفته فى غيرها[2].

وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم إليه حاجة فيوشك أن تبيعوا ما لا تستغنون عنه.

وزعم بعض الحكماء أنه وجد فى وصية الفرس: أيها الإنسان ليس بينك وبين بلد أنت به نسب، فخير البلدان ما وافقك[3]. وخير الدهر ما

---

(١) نقل أبو منصور الثعالبى جملاً من الفصول التى أوردها الجاحظ هنا، ولم يعزها لأحد، ولا شك أنه اقتبسها من هذا التأليف، قال الثعالبى فى فصل «التجار والسوقة» من كتابه (التمثيل والمحاضرة): إذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها إلى غيرها، وإذا لم ترزق بأرض فاستبدل بها - وقال: الرابح فى كل سوق، البائع لما ينفق فيها - وقال: شاركوا الذى أقبلت عليه الدنيا فإنه أجلب للرزق - وقال: من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما لا بد منه». ومن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبى هو عين ما أورده الجاحظ بتغيير قليل فى اللفظ.

(٢) كذا بالأصل وكأن المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة ولذا جعله مؤنثًا.

(٣) نقل الشريشى (شرح مقامات الحريرى ١ : ١٠٢) وكذا الصفدى (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها، وكأن الجاحظ يشير=

أصلحك، وخيـر الناس من نفعك، وخيـر الماء ما أرواك، وخيـر الدواب ما حملك، وخيـر الثياب ما سترك، وخـير التجارة ما أربحك، وخـير العلم ما هداك، وأحسن الحـسن ما اسـتحسنتـه وإن كان قبـيحًـا؛ وكان يقال: خـير الصناعة الخز[1] وخير التجارة البز.

* * *

=إلى كلام عثمـان بن عفان - رضى الله عنه - حين سئل عن كثـرة أرباحه فقال: لم أرد من ربح قط ولو قلَّ (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢).

(١) بالأصل: الخرز - وأظنه تحـريفًا من الناسخ والصـواب: الخز - لتـحصل القافـية والمعنى.

# باب
# معرفة الذهب
# والفضة وامتحانهما

قال الحكيم[1]: يستحب من الذهب سبيكة وغير سبيكة، وإن يكون كنارٍ خالدة وشعاع مركوم وكبريت قانئ[2] وإنما دامت دولته لأنه لا تدحضه خبث الكير ولا يفسده مرّ الدهور؛ وقيل إنما صار الذهب ثمنًا لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه إذا عتق، ولأن الأشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فإنه لا ينقص ألبتة.

وخير الدنانير العتق الحمر إلى الخضرة، وزعم بعض الأوائل إنما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما، والتبهرج[3] من الدنانير يعتبر بخفته وثقله.

---

(١) كثيرًا ما يبتدئ الجاحظ الكلام بقوله: قال الحكيم - أو: قال - وفى ظنى أنه لا يقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا، يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لا سيما كتاب الحيوان.

(٢) هذا الوصف يشبه كثيرًا ما ذكره المؤلف فى كتابه الحيوان (ج٥ ص ٣٣)، حيث قال: وإذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار... وشعاع مركوم... وهو الكبريت الأحمر - ومن هنا يستدل على أن الجاحظ كثيرًا ما يعيد الكلام بعينه فى تضاعيف تصانيفه من غير أن يشعر بذلك، وأنه كان قليل المراجعة لما يكتب.

(٣) التبهرج - معرّب نبهره الفارسية - هو الدينار أو الدرهم المموّه الزيف الردى (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجى وغيره) - وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩): دينار بهرج - وهو صحيح أيضًا.

وزعمـوا أن خير الذهب العقـيان وخيـر الفضة لاالجين، ومذاق الفـضة الصافية عذب، ومذاق الزيوف مُرّ صدى، والتبهرج من الدراهم مالح جرسى الطنين، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صَمَمٌ وهى تقطع العذش إذا مُسكت فى الفم.

* * *

# باب
# ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعمـوا أن معرفـة جوهر اللؤلؤ أنك تجد مـذاقته على ضـربين: عذب المذاقة عُمانىٌّ، وملح المذاقة قلزمىٌّ كلاهما يرسب فى الماء؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء.

وزعموا أن اللؤلؤة إذا كان باطنها دودة فإنك تجدها حارّة المص واللمس فإن ذلك للعـلة النفسانيـة، وإذا لم يكن بها دودة كـانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك.

وزعم البحـريون أن اللؤلؤ الكبار المتغـير اللون تلف عليـه الألْية الطرية المشرحة وتؤخذ فى جوف عجين ويدخل التنور ويبـالغ فى إحمائه فإنه يصفو ويحسن ويعـود إليه الماء، وإذا بخر بكافور كـان ذلك، وإذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فإنه يصفو.

ومعرفة اللؤلؤ اللحـمى الجوهرى من الصدفى العظمى هو أن الجوهرى يكون مستوى الصورة لينًا أملس، والعظمى يكون خشنًا غير مستوى الهيكل.

وخـير اللؤلؤ الصـافى العُـمانى المـستـوى الجسـد الشـديد التدحـرج والاستواء، وإذا كـانت حبتان متسـاويتين فى الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمنهما، والعُمانى أنفس وأرفع من القلزمى لأن العمانى عذب نقى صاف، والقلزمى فيه ملوحة مع عيب كثير(١).

(١) على ذكر اللؤلؤ القُلزمى قال أبو العباس أحمد التيفاشى التونسى المتوفى سنة ٦٥١ فى كتابه «أزهار الأفكار فـى جواهر الأحجار» (خط بمكتبـتى): . . . وكذلك ما=

وإذا بلغت الحبةنصف مثقال سميت دُرّة، والمدحرجة المعتدلة فى التدوّر إذا بلغ وزنها نصف مـثقال ربما بلغت فى الثمن ألف مـثقال ذهبًا، والبيـضية دون ذلك فى الثمن، وأثمـانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجـها، وإذا بلغ وزنها مـثقالين إن شئت جـعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وإن شـئت مائة ألف دينار، والمدحرجة على هذا الوزن والصـفة لا قيمة لهـا، وهى فريدة، وكلما كانت أصفى وأنقى كان أرفع لثمنها وأنفس، والدرة اليتيمة قُلزمية، زعموا أن وزنها ثلاثة مثاقيل، والصغار من اللؤلؤ مرجانه[1].

وخـير اليـاقوت البـهرمـانى[2] ثم الأحمـر المورّد، ثم الأصفـر، ثم

---

=يوجد من الجوهر ببحر القلزم وسائـر بحار الحجاز فردىّ ولو كانت الدرة منه فى نهاية الكبر فـإنها لا يكون لها طائل فى الثمن إذ ليس فيـها شىء من أوصاف الدر النفيس.

(١) قال التيـفاشى فى كتابه المذكـور: والمرجان فى لغة العرب صـغار الدر وهو اللؤلؤ الدق، واستشهد بأبيات لأمرئ القيس - وقيل إنه أول شعر قاله - منها:

فاعزل مرجانها جانبًا ؤاخذ من درّها المستجادا

ولفظ المرجان مـعرب عن اليـونانية وأصله (Marginto) وفى اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيمـا بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحـر ويتخذ منها الحلى والأعلاق والسبح.

(٢) البهرمان: فارسى معرّب معناه: أحمر اللـون؛ وقال التيفاشى: والياقوت البهرمانى هو أحمر نقى الحـمرة لا شتشوبها شـائبة، والبهرمان اسم العصـفر وبه سمى هذا الصنف من الياقوت.

الأسمانجونى[1] وأدونه الأبيض؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال ثلاث: برزانتها فى الوزن، وبرودتها فى الفم عند المص، وعمل المبرد فيها، لأن الياقوت حجر ثقيل اوزن بارد فى الفم بطىء عمل المبرد فيه؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن، حار المصّ، سريع المبرد فيه.

وخير الياقوت الصافى النقى المضىء من أى لون كان، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها[2] والياقوت الأحمر البهرمانى الصافى إذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ فى الثمن خمسة آلاف دينار.

وكان وزن فص الخاتم الذى يسمى «الجبل» مثقالين قوّم بمائة ألف دينار واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار[3]. والياقوت الأسمانجونى ربما بلغ الفصّ منه مائتى دينار.

---

(١) الأسمانجونى: فارسى معرب كركب من كلمتين (آسمان) أى السماء و(كون) لون، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء.

(٢) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث فى قوله: كبرها وصغرها - عائد على ياقوتة.

(٣) نقل أبو منصور الثعالبى من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها، فمن ذلك قوله: زعم الجوهريون أن الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند، وخيره الأحمر البهرمانى، ثم الوردى، ثم الرمانى، وإذا بلغ البهرمانى نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار، وكان وزن الفص الذى يسمى (الجبل) مثقالين قوّم بمائة ألف دينار فاشتراه المنصور بأربعين ألفًا» (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) - ونقل الصلاح الصفدى من تأليف لشيخه شمس الدين ابن ساعد الأنصارى وسماه (منتخب الذخائر فى=

وخير الزبرجد الشديد الخضرة، الصافى الجوهر؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخد كمعرفة اليواقيت: برزانته وبرودة مذاقه وعمل المبرد فيه على مهل؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن، حار فى المذاق، يسرع المبرد فيه.

وزعموا أن خير الزبرجد الناضر الصافى النقى، فإذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ فى الثمن ألفى مثقال ذهبًا، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره.

وكان فص الخاتم الذى يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين ألف دينار وهو اليوم فى خزانة بعض الخلفاء.

وخير الفيروزج الشير بام[1] الأخضر الأسمانجونى الصافى العتيق، والفيروزج حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير فى النار والماء الحار، وغاية ثمن فص فيروزج إذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون دينارًا.

وخير العقيق اليمانى الشديد الحمرة الذى يرى فى وجهه شبه الخطوط، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود فى الثمن.

---

=أحوال الجواهر» جملة مهمة جدًا تعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء فى ضمنها: وكان فى خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قوّمت بعشرين ألف دينار، وكان للمعتصم العباسى فص يسمى «ورقة الآس» لأنه كان على شكلها وزنها مثقالان إلا شعيرتين اشتراه بستين ألف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣).

(١) شيربام: فارسى معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن).

وخير البيجاذى[1] الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن، والمعمول منه رخو، وامتحان جودته من رداءته أنك إذا قربته من الريش احتمله، وكلما كان أحمل للريش كان أجود، وغاية ثمن فص بيجاذى فائق إذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار، والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل.

والبلور يُختار لصفائه وعظمه، وخير الزجاج البلورى الصافى الأبيض النقى، والفرعونى الفائق[2]. وخير الماس[3] البلورى الصافى الأبيض النقى،

---

(١) السيجاذى: حجر كريم أحمد اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء فى جذب التبن، وأصله فى الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء، وقد عرّب قديمًا وورد فى أشعار العرب، قال الفرزدق (الأغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١):

أغرّك منها لوثة عربية  علت لونها إن البجادى أحر

راجع معجم المجموعة الجغرفية العربية تأليف المستشرق دى خوى، طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر أيضًا التعليق الجميل الذى وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا على هذه الكلمة فى تفسيره للألفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمى الدمشقية ج٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩).

وقال ابن عبد ربه: ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجادى العتيق، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧).

(٢) ورد ذكر الزجاج الفرعونى فى كتاب (الحيوان) للجاحظ ج٣ ص ١١٦.

(٣) الماس: يونانى معرّب وهو الديامنت وقد ورد ذكره فى الحديث الشريف (النهاية لابن الأثير ج٤ ص ٧٩) - وقال التيفاشى: الماس نوعان: الزيتى والبلورى،=

ثم الأحمر، وإذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ فى الثمن مائة دينار، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ فى الثمن وأرفع.

***

=والزيتى أجودهما، والبلورى أبيض شديد كلون البلور، والزيتى مخالط ببياضه سفرة كلون الزيت، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعونى (كتاب أزهار الأفكار - خط).

# باب
# معرفة الطيب
# والعطر والروائح
# الطيبة

زعموا أن خير العود الهندى المندلى[1] الذى لا غش فيه، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته؛ وزعموا أن خير العود الهندى الثقيل الوزن الذى يرسب فى الماء، وأدونه الخفيف الوزن الذى يطفوا على رأس الماء، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة.

وخير المسك التُّبَّتى[2] اليابس الفائح وأردأه البُدّى، وغش المسك من

(١) المندلى: منسوب إلى «مندل» وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكى الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت - لفظ مندل - وشفاء الغليل) - وقال أبو منصور الثعالبى وفى كتاب «العطر» [للجاحظ]: وخير العود الهندى المندلى، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة، ومن خصائصه ثبات رائحته فى الثوب أسبوعًا وأكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣).

(٢) بالأصل: التبى وهو تحريف وصوابه: التبتى نسبةً إلى بلاد التبت، وفى كتاب «الحيوان» للجاحظ (ج٤: ٤٦) أن المسك كان يجلب من التبت - وفى «المحاسن والأضداد» (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩): وكان مما تهديه ملوك الأمم إلى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم «فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود، ومن التبت المسك والحرير والأوانى، ومن السند الطواويس والببغاء، ومن الروم الديباج والبسط» - ويؤيده ما نقل الأصطخرى وابن حوقل حيث قالا: ولهم [أى أهل ما وراء النهر] من المسك الذى يجلب إليهم من التبت وخرخيز ما ينقل إلى سائر الأمصار فيفوق=

الآنك[1] وجندَبادستر[2] ودم الأخوين[3] وسياه دارُو[4] وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود.

وزعموا أن خير العنبر الأشهب الزابحى[5] ثم الأزرق، ثم الأصفر،

---

=غيره من المسوك ثمنًا وجودة (المسالك والممالك للأصطخرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و٣٣٧).

(١) آنك: فارس معرّب وهو الرصاص، وعند ابن البيطار: الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الأسود وهو الآنك، والآخر الرصاص القلعى وهو القصدير (جامع مفردات الأدوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠).

(٢) جندباستر: فارسى معرّب وهو مثانة حيوان برى بحر يكون فى الأنهار العظام يسمى القدر (وعند الإفرنج Castor) وخصاه هى الجندبادستر (الدميرى ٢: ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١).

(٣) دم الأخوين: قال ابن البيطار بالنقل عن أبى حنيفة الدينورى: هو صمغ أحمر لشجر يؤتى به من سقطرى، ثم قال: وهو الأيدع عند الأطباء، ويقال له الشيان أيضًا (جامع المفردات ١ : ٧٢ و٢ : ٩٦) - قلت: والمعروف أن دم الأخوين هو العندم عند قدماء العرب، وقيل هو لبقَّم.

(٤) سياه دارو: ويكتب أيضًا: سيادرو - وسيادروان، وفى القانون لابن سينا سيادوان. فارسى معرب، وهو صمغ الجوز الشمى (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩).

(٥) الزابحى: سمى القلقشندى من أنواع العنبر ستة أضرب أولها الشحرى ثم الزنجى [قلت: وهو لا محالة تحريف الزابحى أو الرابحى] وهو أجود العنبر وأفضله. .=

وأدونه الا . . . . [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحـرفها، بحيث لم يتيسر نقلها بأى وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ما هو مرسـوم بالحمرة - فى السطر السابع عشر - وهو: باب معرفة الثياب وما يستجاد منها].

---

=(صـبح ٢: ١١٧ و١١٨] - وجـاء فى تاج العـروس: (والرباحى جـنس من الكافور) منسـوب إلى بلد كمـا قاله الجوهرى وصـوبه بعضهم أو إلى ملك سـماه رباح، اعـتنى بذلك النوع من الكافور وأظهـره (تاج ٢ : ١٤٠) - وفيـه: ورباح مـوضع بالهند ينسب إليـه الكافـور، وبسط بحـثًـا طويلاً فى الغلط الحـاصل فى الصـحاح للجـوهرى إذ نسب تارةً الرابحى إلى بلد بالهند وتارةً إلى دويبـة يجلب منها الزبد - وذكر ابن البيطار - فى مادة كافور وعنبر - أن الرباحى مشتق من اسم ملك هندى اسمه رابح (جامع المـفردات ٢ : ٣٣٤) - وقال داود الأنطاكى ويسمى الرياحى لتصاعده مع الريح، وقيل الرباحى - بالموحدة - نسبةً إلى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة - مادة كافور) - وقال دوزى فى مستدركه على المعاجم العربيـة: إن بعض المصنفين يسميـه أيضًا الزياحى Dozy, Suppl.aux diction. arabes, vol. I p. 499 - ومما تقدم يتـضح أن الاختلاف فى اسم الـزابحى أو الرابحى قديم ولا يعرف على وجه التحـقيق نسبته، ولذا احترمنا هـنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه - ووقفنا أخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت أن أصل اللفظ - الزابج - وهو اسم جزائر مـاليسية (جـاوة وسومطرة وبرنيو) عند قدمـاء العرب - والنسبة إليـه زاجبى، فحرفـه النساخ والمؤلفون المتأخرون فـقالوا الزابحى والرابحى وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمى الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩).

# باب
# معرفة الثياب وما
# يستجاد منها

. . . . وخير الوشى [فى الـثوب] السابرى[1] والكوفى، والإبريسمى، والمذهب المنسـوج، ثم الوشـى الإسكندرانى الكتـان البـحت[2] ثم المنسـوج بالذهب، ثم الوشى الغـزلى، ثم الذى لا إبريسم فيه ولا ذهب وهو اليـمانى

---

(١) السابرى: نسبة إلى سابور، وفى حـديث حبيب بن أبى ثابت قال: رأيت على ابن عباس ثوبًا سابريًا استشف ما وراءه، وكل رقيق عندهم سابرى والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور [النهاية لابن الأثير ٢ : ١٥٢] - وفى التاج: والسابرى ثوب رقيق جدًا، قال ذو الرمة:

فجاءت بنسج العنبكوت كأنه  على عصويها سابرى مشبرق

ومنه المثل: عـرض سابرى، أى رقـيق جـدًا [تاج ٣ : ٢٥٢] - وقال أبو منصـور الثعـالبى: والسابرى، وهو الـرقيق الناعم من كل ثوب، والأصل فـيه النسـبة إلى نيسابور وعرّب فقيل سابرى [ثمار القلوب ص ٤٢٩].

(١) نقل أبو منصـور الثعالبـى العبارة الآتيـة فى لفظ «كتـان مصر» ولـم يذكر عن أى تأليف للجـاحظ نقل، قال: قال الجـاحظ: قد علم الناس أن القطن لخـراسان وأن الكتان لمصـر، ثم للناس فى ذلك فى تفـاريق البلدان ما لا يبلغ مـقدار بعض بلاد هذين الموضعين، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذى من الكتان لا غير مائة ألف درهم [ثمـار القلوب ص ٤٢٠ - وراجع أيضًـا كـتـاب «ما يعـول عليـه فى المضاف والمضاف إليه» للمحبى - خط بمكتبتى].

لأنه يرتفع على هذه السبيل من الغزلى، والإبريسمى الكتان لا يبلغ فى الثمن ما يبلغه اليمانى لأنه ربما بلغ الثوب الغزلى ألف دينار.

وخير السِنجاب[1] القاقم[2] ثم الظهور منه، ثم الخزرى[3] ثم الخوارزمى، ثم الذى لا غش فيه من زغب الأرانب.

وخير الثعالب الأسود[4] الخزرى الغليظ الشعر الذى لا يُغَشُّ بصبغ، ثم الأبيض، ثم الأحمر المحصرى[5] ثم الأحمر الخزرى، ثم الخلنجى[6].

---

(١) السنجاب: قال القلقشندى: حيوان أكبر من الفأر يعيش فى الشجر العالى، فيها يأوى ومنها يأكل، وهو كثير ببلاد الإفرنج والصقالبة، ووبره فى غاية النعومة وجلده فى نهاية القوة، ويتخذ منه الفراء النفيسة التى يلبسها الناس والرؤساء، وأحسن ألوانه الأزرق [صبح الأعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Seuriolas وبالفرنسية Ecureuil.

(٢) القاقُم [بقافين الثانية منهما مضمومة] - هو دويبة فى قدر الفأر لها شعر أبيض ناعم، ومنه يتخذ الفراء، وهو أعز قيمة من السنجاب [صبح ٦ : ٤٩].

(٣) الخزرى: نسبةً إلى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد.

(٤) قوله: خير الثعالب الأسود، جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ [ج٦ ص ١٠٠] وفى الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس فى الوبر أغلى من الثعلب الأسود وهو ضروب فمنه الأبيض الذى لا يفصل بينه وبين الفنك، ومنه الخلنجى وهو الأعم».

(٥) كذا بالأصل وأظنه غلطًا من الناسخ وصوابه «الممصّرى» أى المصبوغ بالمصرة وهى العصفر، وقال ابن سيده: والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة طفيفة [المخصص ٤ : ٩٤].

(٦) الخلنجى: المقصود به الذى يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ابن=

وخير القاقم أكثرها أذنابًا: وخير السمور الصينى، ثم الخزرى الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر.

وخير الفرش وأرفعه ثمنًا وأجوده المرعِزَّى[1] القرمزى الأرمنى المنير ثم الخز الرقم، ثم الخز القُطوع[2] ثم الديباج على عمل الخسروانى[3] الرومى، ثم الخز المدبج على الميـاسنى، ثم البزيون[4]؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجًا بالذهب فهو أجود وأبلغ فى الثمن، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب إلاَّ الأرمنى والميسانى والبزيون.

---

=البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد المراكشى اللون الخلنجى بقوله: مخطط بسواد ودُخنة [راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزى ج١ ص ٤٠٠].

(١) المِرعِزَّى والمِرعِزَاء - بكسر الميم - إذا خفّفتَ مدتَ وإذا شددتَ قصَرتَ، وأصله بالنبطية (مِرْعِزَّا) وقد تكلمت العربُ به قديمًا، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيمم:

كساك الحنظلى كساءَ صوفٍ ومِرعِزَّى فأنت به تفيد

أى تتبختر عجبًا [راجع المعرّب للجواليقى ص ١٣٧].

(٢) القُطُوع جمع قطع وهو ضربٌ من الوشى فى الثياب [المخصص لابن سيده].

(٣) الخسروانى، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عظماء الأكاسرة، وهو فارسى معرَّب [المعرَّب للجواليقى ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجى].

(٤) البزيون كعصفور، السندس، وقال ابن برى: هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩].

وخير البزيون المسكىّ الدقيق النسج، ثم المخطط، ثم المفلّس[1]، ثم الساذج، ثم المعيَّن[2]، ثم المنقط؛ والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل نقية ربما بلغت فى الثمن خمسين دينارًا.

وأبو قَلَمون[3] من الزلالى[4] الخسروانى الرومى القرمزى على خطوط مختلفة البنفسجى فى الأحمر والأخضر، وزعموا أنه يتلوَّن ألوانًا بارتفع النهار ووهج الشمس، والقيمة مرتفعة منه جدًا.

وخير الأكسية من الصوف المصرية، ثم الخوزية الفارسية، والمرعِزَّى فى

---

(١) وبالأصل، المقاس، وهو تحريف بيّن، والمفلّس بمعنى المختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدَنر ومدرهم أى موشى على صورة الدنانير والدراهم.

(٢) المعيَّن، ثوب فى وشيه ترابيع صغار شُبّه بأعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧].

(٣) أبو قَلَمون، عرَّفه مرتضى الزبيدى بقوله: ثوب رومى يتلون ألوانًا للعيون نقله الجوهرى، وقال الأزهرى: يتراءى إذا أشرقت عليه الشمس بألوان شتى، قال: ولا أدرى لِمَ قيل له ذلك، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس ٩ : ٣١] - أقول: لفظ أبو قلمون يونانى معرّب وهو فى الأصل Abokalamon - والنسيج المسمى أبو قلمون فى المشرق وهو المعروف فى الديار التونسية بعنق الحمام.

(٤) الزّلِيّة - بالكسر - البساط ج زلالى كما فى لسان العرب والعباب، وفى مستدرك التاج [مادة ذلل ج ٧ : ٣٥٩] والزلال الصافى من كل شىءٍ، قال ذو الرمة:

كأن جلودهن مموهات  على أبشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالى الصافى اللون.

المرعِزَّى الفارسية الشيرازية، ثم الأصفهانية، والمرعزى فى الإبريسم الفسوية، ثم الطبرية[1]، ثم الصوف فى الصوف.

وخير الطيالسة الرويانية الطبرية، ثم الآملية[2]، ثم المصرية، ثم القومسية[3]. وخير اللبود الصينية، ثم المغربية الحمر، ثم الطالقانية البيض[4]، ثم الأرمنية، ثم الخراسانية.

---

(١) على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ: إن قيمة الكساء الأبيض الطبرى فى عصره يساوى أربعمائة درهم والقومسى منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨].

(٢) قوله: الطيالسة الرويانية نسبةً إلى الرويان وهى مدية من نواحى قزوين [الأصطخرى ص ٢٠٦ - وابن حوقل ٢٦٩] - وكذا الآملية نسبةً إلى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم: الأولى عاصمة طبرستان - وهى المقصودة هنا - مشهورة بضأنها وصوفها منسوجاتها [المقدسى ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة فى غربى جيحون فى سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل.

(٣) القومسية، نسبةً إلى قُومس من أكبر مدائن الديلم، قال ابن حوقل: ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار وهى فاشية فى جميع الأرض [المسالك والممالك ص ٢٧١] - وقال المقدسى: أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها ألفى درهم، ولهم أيضً أكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف [كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧].

(٤) نقل أبو منصور الثعالبى هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها فقال: وذكر الجاحظ فى كتاب «التبصر بالتجارة» أن خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض» [ثمار القلوب ص ٤٣٣]. وتبعه النويرى فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب «النظر فى التجارة» [نهاية الأرب ج١ ص ٣٦٧] وهو تحريف واضح لتشابه ما بين لفظ «التبصر» و«النظر» - فلينتبه.

وخير النمور البربرى الموشح الشديد بياضه المشبَّع سواده الطويل الوشى السابانى[1]. وأظرف النمور الذى يكون فى وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بينة؛ وإن كان سواده متصلاً بعضه ببعض بشطية من سواد خفيفة كان أظرف له، وإذا كانت فيه حمرة مع بياض يقق سواد حالك كان أحسن وأبلغ فى الثمن؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها ما يغشى سرجًا مفردًا، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون دينارًا، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان فى الثمن ولا يرتفعان، وخير النمور الوشى، وخير القطن الأبيض اللين الصُعار الحبوب اللطيف البياض الصافى.

وزعم أن القرمز حشيشة تكون فى أصلها دودوة حمراء تنبتُ فى ثلاثة مواضع من الأرض[2]: فى ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفى رستاق يقال له تارم[3]، وفى أرض فارس، لا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة فى ماه اسفندارمذ[4]، فتبيس تلك الدودة ويصبغ بها الإبريسم والصوف وغير ذلك؛ وخير ما يصبغ فى الأماكن بأرض واسط.

(١) السابانى، نسبةً إلى السبان، وهو فى الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذى ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود، وبه شبَّه الجاحظ هنا المختار من جلد النمور البربرية، كان أقرب إليه أن يقول فى نعته زرزورى أى فى لون الزرزور، وهو عربى صريح.

(٢) عرَّف الرحالة ابن حوقل القرمز الأرمنى بقوله: وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزَّى والصوف، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص ٢٤٤].

(٣) تارم، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخًا [الأصطخرى ص ١٣١ وما بعدها - وابن حوقل ص ٢٠١ و٢٠٣ و٢٢٦ - والمقدسى ٤٢٣ و ٤٢٦].

(٤) ماه اسفندارمذ، هو اسم الشهر الثانى عشر من السنة الشمسية عند الفرس، =

وزعموا أن البَلسان شجر بأرض مصر يُشرطُ فى أيام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه، وهو مفقود فى الأرض كلها ما خلا مصر[1].

وحبّ الزلم[2] ينبت بأرض شهروز، وزعموا أنه جيد للجماع؛

---

=واليوم الخامس منه هو «اسفندار منذ روز» كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الأعشاب من الجبال والأودية ويتخذون الأدهان ويهيئون البخور والدّخن، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رقيةً على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى طبعة ليبسنج سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ - وعنه نقل القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها].

أقول: وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة فى البلاد التونسية من كتب رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأعجمى ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعًا للعقارب والحشرات السامَّة.

(١) البَلسان المصرى، قال الأصطخرى: وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان فى الدنيا إلا هناك [الأصطخرى ٥٤] وجعله ابن حوقل فى عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦].

(٢) حب الزّلَم، عرَّفه ابن البيطار بقوله: هو حب دسم مفرطح أكبر من الحمص قليلاً أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر، وينبت فى ناحية شهرزور، وقد ينبت منه شىء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [جامع مفردات الأدوية ٢ : ٤ و١٦٦] - قلت: وهو المعروف عندنا فى تونس بحب عزيز.

والقرماز شجر بالفارسيــة بنجكشت، قلما يوجد إلا ومعه الدفلى، وهو نبت يستخير بــالدفلى النابتة عنده يقال له فَازَهر[1]، فلذلك غرس معه فى موضع يكون به، وقيل حُمِلا جميعًا من الروم وله قصة عجيبة طويلة.

* * *

(١) المشهور أن الفازهر حجر كريم لا نبات كما ورد هنا، وأنه صنفان حيوانى ومعدنى وهو عند الإفرنج (Bézoar) اسمه فارسى مــعرَّب وأصله پازهر ومعناه «منفى السم» – وقد ذكر مــعدته وأوصافه وخــواصه ومنافعه جــماعة من علماء الأحــجار كابن البيــطار فى مفرداتــه والتيفــاشى فى كتــاب أزهار الأفكار والقزوينــى فى عجــائبه وسواهم كثير، فليراجع هنالك.

# باب
# ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند: الببور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند[1].

ويجلب من الصين: الفرند والحرير والغضائر[2] والكاغد والمِداد والطواويس والبراذين الفُرَّةُ والسروج واللُّبود والدارصيني وأدارند[3] الروم

---

(١) قال أبو منصور الثعالبى: ولبلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والببر والببغاء والطاووس والدجاج الهندى والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣].

(٢) الغضائر ج غضارة هى القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف، وارفع الغضائر ما يؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعتها وجودة طلبها وجمال رونقها، وقال شمّر: الغضار الطين الأحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذى يسمى الغضار. وقال ابن دريد فأما الغضارة التى تستعمل فلا أحسبها عربية محضة [تاج العروس وغيره].

(٣) لفظ «أدارند» هنا لا معنى له، وأظنه تحريفًا من الناسخ، ويظهر أنه قصد الراوند. قال مرتضى الروند الصينى وهو أنواع أربعة أعلاها الصينى ودونه الخراسانى ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود، والأطباء يزيدونها ألفًا فيقولون «راوند» ولفظه ليس بعربى محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد].

الخالص، ويجلب من أوانى الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والأبرون والديباج والبراذين الفره والجوارى وطرائف الشَّبَه والأقفال المحكَّمة واللورا[1] ومهندسوا الماء وعلماء الحراثة والأكارة وبناء الرخام والخصيان.

ومن أرض العرب: الخيل العِراب والنعام والنجائب والقانة[2] والأَدَم[3].

ومن البربر ونواحى المغرب: النمور والقرظ[4] واللبود والبزاة السود.

ومن اليمن: البرود والأدَم والزرافات والجواميس[5] والعقيق والكُنْدُر[6]

---

(١) كذا بالأصل ولم أر لها معنى، ولا شك أن الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم إلا أن يكون اللاذ واللاذة وهى ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفى القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين.

(٢) القانة وجمعها القان، هو شجر جبلى ينبت بجزيرة العرب. زاد الأزهرى ينبت فى جبال تهامة ويتخذ منه القسى [لسان العرب].

(٣) الأَدَم ج أديم، هو الجلد المدبوغ إذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره.

(٤) بالأصل القرض، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ، وهو ورق السلم تدبغ به الجلود، وقيل هو السنط بعنصر منه الأقاقيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية].

(٥) كذا بالأصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن، وهو الدرع من حديد. وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم [المحكم، خط المكتبة الزيتونية فى تونس].

(٦) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللُّبان عند الأطباء وغيرهم [تاج ٣ : ٥٢٩].

والخِطْر[1] والوَرْس[2].

ومن مصر: الحمر الهماليج[3] والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان، ومن المعدن الزبرجد الفائق.

ومن الخزر: العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر.

ومن أرض خوارزم: المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب.

ومن سمرقند: الكاغد[4].

---

(١) الخِطر - بالكسر - نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به، وقال أبو حنيفة هو شبيه بالكتم وكثيرًا ما ينبت معه واحدته خِطرة [تاج ٣ : ١٨٣].

(٢) قال الثعالبى ومن خصائص اليمن الزرافة، وكان الأصمعى يقول أربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكند والخطى والعقيق [كتاب ثمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناسخ هنا الخطى - وهى الرمح - مكان الخطر، فلينتبه.

(٣) على ذكر الحمير المصرية قال الأصطخرى: وبمصر بغال وحمير لا يعرف فى شىء من بلاد الإسلام أحسن ولا أثمن منها، ولهم من وراء أسوان حمير صغار فى مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة، إذا خرجت من مواضعها لم تعش، ولهم حمير يقال لها [السملاقية] بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلى فهى أسير تلك الحمير [راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧].

(٤) كاغَد وكاغِد وكاغذ، لفظ صينى معرب دخل العربية بطريق الفارسى، ولم يكن الكاغد معروفًا بالمشرق فى أول عهد الإسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردى المصرى أو على الرقوق، وأول ظهور الكاغد فى الإسلام كان=

ومن بلخ ونواحيها: العنب الطيب والفوشنة[1].

=فى سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرهم الأمير زياد بن صالح فى وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار فى بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه فى بقاع متعددة من بلاد الإسلام، ومنها دخل إلى أوروبا واشتهر - قال أبو منصور الثعالبى: كواغد سمرقند هى من خصائصها التى عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها إلى جميع البلدان فى الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] - وذكر المقريزى فى خططه أن جعفر البرمكى هو أول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد فى الدواوين [النويرى ١ : ٣٦٧].

أقول: ومن أشهر الأصناف التى كانت تصنع قديمًا فى العالم الإسلامى: الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة إلى حدود ذلك الوقت، والكاغد السليمانى نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد، والجعفرى منسوب إلى جعفر البرمكى الوزير العباسى، والطلحى منسوب إلى طلحة بن طاهر ثانى أمراء بنى طاهر، والنوحى نسبة إلى الأمير نوح الأول من بنى ساسان، وسوى ذلك كثير؛ وقد شاعت الوراقة فى البلدا العربية وخصصت بدور صناعة فى العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب - لا سيما فى القيروان والمهدية - وفى الأندلس خصوصًا بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرس لابن النديم ص ٢١ وصبح الأعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦].

(١) الفوشنة، ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذانى [الغوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهتد إلى معرفة ماهيتها.

ومن بوشنج: الكَبر المربى.

ومن مرو: الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية[1].

ومن جرجان: العناب والتدرّج وحب الرمان الجيد واليرمق[2] الين والإبريسم الجيد[3].

---

(١) ثياب مرو، قال الثعالبى: كانت العرب تسمى كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروى وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجانى، لأن مرو عندهم أم خرسان، ويقال لها مرو الشاهجان، وقد بقى إلى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة، ومما تختص به مرو الثياب [الملحم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] - ومن ينسب إلى مرو من الرجال يقال له مروزى ومن الثياب مروى [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧]. أقول: والمتعارف هو أن النسبة إلى مرو الروز: مروزى، وإلى مرو الشاهجان: مروى، للتفريق بين المدينتين.

(٢) لم نقف على معنى للفظ [اليرمق] وكأنه تحريف [النرمق] بالفتح، فارسى معرب [نرمه] وهو اللين الناعم من كل شىء، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه:

أجر خزًا خطلاً وترمقا  أن لريعان الشباب عتهقا

[تاج ٧ : ٧٥] - ويمكن أن يكون أيضًا [يلمق] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنة.

(٣) قال الأصطخرى، ويرتفع من جرجان من الإبريسم شىء كثير، وإبريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان إبريسم، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الأصطخرى ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣] - وقال المقدسى، ولأهل جرجان المقانع القزيات تحمل إلى اليمن والعناب، ولهم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧].

ومن آمد: الـثياب الموشـية والمناديـل والمقارم[1] الرقاق والطيـالسة من الصوف.

ومن دباوند[2]: نصولى السهام.

ومن الرى: الخوخ والزئبق واليرمق والأسلحة والثياب الرقاق والأمشاط والقلانس الملكية والقسيات[3] الكتان والرمان[4].

---

(١) المقارم ج مقرمة وهى الستر، وعن ابن الأعـرابى هى المحبس نفسه يقوم به الفراش قال. وهو ثوب من صـوف فيـه ألوان من عيون فـإذا خيط فصـار كأنه بيت فـهو ركلة، وقد تزين المقـارم فى أطرافها بالرجـائز وهى نسيجـة حمراء عرضـها ثلاث أصابع وأربع [المخصص ٤ : ٧٥] أقـول. وقد أخذ الإفرنج لفظ مقـرمة عن اللغة العربية وأطلقوه على نوع من الطرز يسونه Mactamé.

(٢) دباوند -كذا بالأصل وهو عنـدى تحريف من الناسخ وصوابه [دُنبـاوند] وهو جبل عال بناحية كـرمان، قال ابن الفقيه: وبكرمان مديـنة يقال لها [دمندان] وهى مدينة كبيرة واسعة وبها أكثر مـعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفر ومعدنه بجبل يقال له [دنباوند] جبل مـرتفع شاهق فى الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ [كتاب البلدان ٢٠٦].

(٣) بالأصل: العسيـات، وعندى أنها القسيات، نوع من الثـياب كانت تجلب أولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها، وقد ورد ذكرها فى الحديث الشريف (راجع النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير] وقال ابن سـيده: الثياب القسية تنسب إلى قس وهو موضع وهى ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهى عن لبسها [المخصص ٤ : ٧٢].

(٤) قال الثعالبى وكان يحـمل إلى السلطان مع خراج الرى - وهو اثنا عشر ألف ألف درهم-من الرمان مائة ألف ومن الخوخ المقدَّد مائة ألف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨].

ومن أصفهـان: الشهد والعسل والسـفرجل والكمثرى الصـينى والتفاح والملح والزعفران والأشنان والأسـفيذاج[١] والكحل والسرُر المطبقة والأثواب الجياد والشراب من الفواكه[٢].

ومن قومس الفؤوس والأمساح والجتر[٣] والطيالسة من الصوف.

ومن كرمان النيلج والكمون.

ومن الجور الجوارشن[٤].

وبزرقطونا[٥].

---

(١) الاسفينذاج، فارسى معرَّب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الإفرنج Blanc de ceruse وهو المعروف فى تونس بالباروق، وقد أطال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١].

(٢) قال الثعالبى وكان يحمل من أصبـهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها - وهو واحد وعشرون ألف ألف درهم - قدر كبير من الكحل ومن العسل ألف ألف رطل ومن الشمع عشرون ألف رطل، وكحلبا موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧]

(٣) الجِتر، فارسى معرَّب وهى المظلة تتخذ للوقاية من الشمس.

(٤) كـذا بالأصل والأقـرب أن تكون الجـواشن ج جـوشن وهى الدروع وقـد ذكـرها الجاحظ فى «المحاسن والأضداد» [فصل محاسن الهدايا].

(٥) بزرقطونا، نبت مـعروف وهو صنفـان شتـوى وصيفـى وأنفع ما فيـه بزره، وهو الأسفـيون بالفـارسية وفى اليـونانية فـسيلون Psyllium [راجع المختصـر الفارسى للصقـلى، والمعتمـد فى الأدوية لابن رسولا طبع مـصر ص ١٦، وكـشف الرموز للجزائرى وغير ذلك].

ومن بَرْذَعَة البغال الفُرّه[1].

ومن نصيبين الرصاص.

ومن فارس الثياب الكتان التوّزى والسابرى وماء الورد[2] ودهن النَيْلوفر ودهن الياسمين والأشربة.

ومن فَسَا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج.

ومن عُمان وسواحل البحر اللؤلؤ.

ومن ميسان الأنماط والوسائد.

ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخز[3].

---

(١) قال الأصطخرى ويرتفع من نواحى برذعة بغال تجلب إلى الآفاق [المسالك ١٩٠] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر إلى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨].

(٣) قال الثعالبى جور من كوَر فارس مخصوصة بالورد الذى لا أطيب منه فى سائر البلاد يضرب به المثل فى الطيب وهو مجلوب إلى أقاصى المشرق والمغرب. . . وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة [ثمار القلوب ٤٢٧ - وراجع أيضًا الأصطخرى ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسى ٤٤٣].

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها، ولا يكون إلا بها على كثرة قصب السكر فى سائر النواحى، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال أبو الطيب المتنبى: =

. . . والصنَّاجات والرقَّاصات[1] . . . . . وأنواع التمر والدبس والقند[2] .

ومن السوس، الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم[3] والجِلال والبراذع .

ومن الموصل، الستور والمسوح[4] والدرَّاج والسُمانَى .

---

= تقضم الجمر والحديد الأعادى دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز - وهو خمسة وعشرون ألف درهم - ثلاثون ألف رطل من السكر؛ ومما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج تسر وخز السوس، قال كشاجم يصف الروض:

كأن الذى دبجت تسر وطرزت السوس فيه نسر

[ثمار القلوب ٤٢٦].

(١) حصل هنا ترهل عطَّل قراءة بعض الكلمات. أما لفظ «الصناجات» الواردة بالأصل فأظنها تحريفًا من الناسخ ولا أخالها إلا «النِصاحات» وهى الجلود واحدتها نِصاحة [راجع المخصص ٤ : ١٠١] - وكذا قوله «الرقَّاصات» فهى عندى «الطرَّاحات» ج طرَّاحة وهى مقاعد صغيرة مربَّعة تطرح فى البيوت.

(٢) القَنْد والقَنْدة، معرَّب «كَنْد» وهو عصارة أو عسل قصب السكر إذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الإفرنج Sucre candi أى سكر مربَّى.

(٣) شاه سبرم، ويقال أيضًا شاهسفرم وشاهشفرم، نوع من الريحان كان يسمى الريحان السلطانى والحبق الكرمانى، واللفظ فارسى معرَّب «شاه سيرغم» وهم مما عرّب قديمًا لوقوعه فى شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ - وكتاب المعتمد لابن رسولا ص ١٧٨ وغير ذلك].

(٤) المسوح ج مِسح، عن ابن سيده كساء مخطط يكون فى البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان=

ومن حلوان، الرمان والتين والكامخ(١).

ومن أرمينية وأذربيجان، اللبـود. . . . والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف(٢).

* * *

=شهـرة كبـيرة فى الشـرق والغرب حـتى أن الأمم الإفرنجيـة أطلقت عليـها اسم Mousseline تذكيرًا لأصل موردها.

(١) الكامخ، فـارسى معرَّب وزصله «كـامه» ويجـمع على كواميـخ، قال الجـواليقى الكامخ الذى يؤتدم به [كتاب المعرَّب] وقال مرتضى وغيره فى شرح الكامخ ومنهم من خصه بالمخللات Hors d`oeuvres التى ستـتعـمل لتشهى الـطعاء [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفـاء الغليل - أقول والمعنى الأخير هو المقـصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه فى البيان والتبيين [ج٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢].

(٢) قال ابن حـوقل عند ذكره أرمـينية وأذربيـجان، وبهـذه البلاد وفى أضـعافـها من التـجـارات والمجالب وأنـواع المطالب من الدواب والأغنام والثيـاب المجلوبة إلى النواحى والأقطار، معروفـة لهم ومشهورة كالتكك الأرمنيـة التى تعمل بسلماس، تباع التكة من دينار إلى عشرة دنانير ولا نظيـر لها فى سائر الأرض. ثم قال وأكثر مـا يخرج إلى بلاد الإسـلام من الديباج والبـزيون وثيـاب الكتان الرومى وثيـاب الصوف والأكـسية الـرومية فـمن أطرابزندة [المسالك والممـالك ص ٢٤٦] - وقال اثعالبى وكـان يحمل إلى حضـرة السلطان مع خراج أرمينيـة كل عام - وهو ثلاثة عشـر ألف ألف درهم - من البسط المحفورة ثلاثـون بساطًا ومن الرقم خمسـمائة وثمانون قطعة ومن البُزاة ثلاثون بازيًا [ثمار القلوب ٤٢٨].

# باب
# ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك من جوارح الطير

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك إلى جيلان، ثم السود الغربية التى بناحية الزنج إلى الهند وإلى اليمن، ثم الحمر المشرقة، ثم الديْزَج[1].

وخير الشواهين السود الغرابية البحرية، والبيض الجرجانية.

كذلك البواشق يستحب منها السود الغرابية البحرية، ثم البيض الهندية، ثم الحمر البحرية، الحُمر البطن والصدر بيكانات[2] بيض، المزهر اللن، الكبير الرأس، الغائر العينين من غير هزال، العريض المنخرين، الواسع الصدر رتفعه، اللين الزغب، الطويل الذنب، الأخضر الأرجل الذى رجله قريبة من الدستبان[3] الثقيل الوزن، فإذا بلغ وزنه مائة وثلاثين[4] فذلك غاية[5].

---

(١) الدَيْزج، فارسى معرَّب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٢ : ٤٢] ويروى أيضًا ديرح بالراء المهملة [النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٢].

(٢) دكانات، فارسى معرَّب وأصله «يكانه» ومعناه واحد والمقصود هنا معلَّم بنقط بيض.

(٣) الدستبان، فارسى معرَّب وهو القفَّاز من جلد يتخذه البيَّاز فى يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح.

(٤) كذا ورد من غير تعيين، والمظنون أنه يقصد مائة وثلاثين درهمًا يعنى نحو أربعمائة وعشرة جرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعى بثلاثة جرامات وخمسة عشر سنتيغرام.

(٥) قال القلقشندى المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب «المصايد المطارد»=

وزعموا أن البؤبؤ[1] ذكورة الصقور، والعفصى[2] ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة البؤبؤ الصغير.

وقالت الفُرس لا يكاد الفرَسْ والبازى يكونان حسنى المنظر لا مخبر لهما، ولا حسنى المخبر لا منظر لهما، فإن اجتمع المخبر والمنظر كان فائقًا.

***

=الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حادّهما، سائل السُفعتين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب العقدة من القفا، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تلم الخوافى، ممتلئ العكوة [صبح الأعشى ٢ : ٥٨] - وقال أيضًا فى صفة البُزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سوادًا الغليظ خطوط الصدر والأشهب الشديد الشهبة الشبيه بالأبيض، والأصفر المدبَّج الظهر - ثم قال إن ذكر البازى يسمى الزُّرَّق [صبح ٢ ص ٥٦ و٥٧].

(١) «البؤبؤ» قال القلقشندى. تسميه أهل مصر والشام الجلَم وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلَم أخذًا من الجلم وهو المقص تشبيهًا به لأن له سرعة كسرعة المقص فى قطعه [صبح ٢ : ٦١].

(٢) «العفصى» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص - وورد فى صبح الأعشى اسم العفصى «بالفقمى» وفى التعليق عليه قال مصححه «العقصى» وكلاهما تحريف والصواب العفصى كما هنا للسبب الذى بينا - قال القلقشندى: هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧].

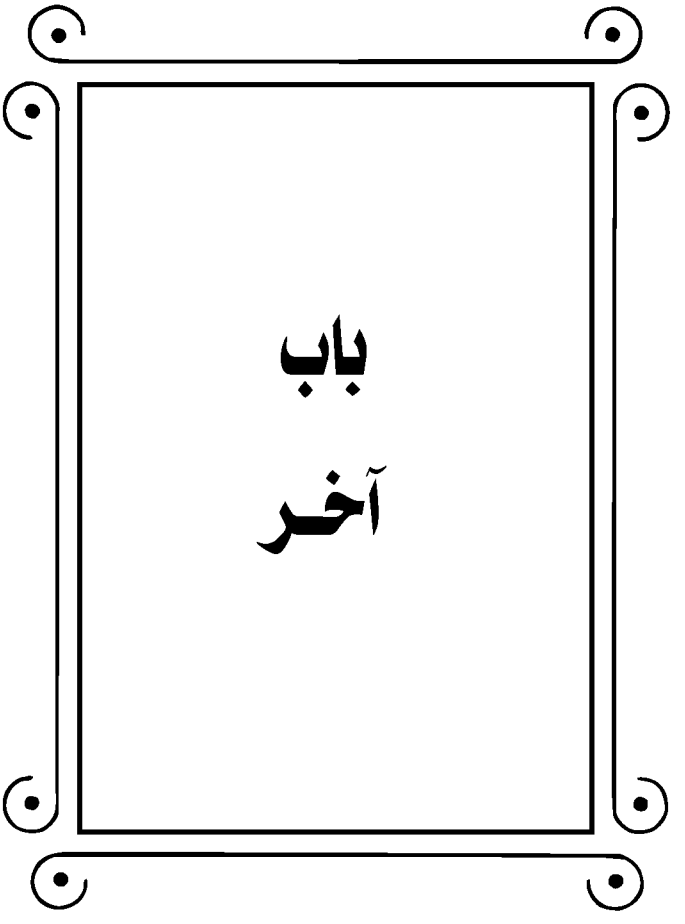
باب
آخـر

كل ثوب من الباس والفرش إذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع، وكل علِق من الجواهر والأحجار إذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس، وكل حيوان من الوحشية والأهلية إذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأفخر، وكل إنسان من الشريف والوضيع إذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل، وكل امرأة حرة أو أمة إذا كانت أكثر سكونًا وأجمل حالاً وأنزر طعمًا وأشكر للناس فهى أصون، وكل طير من السهلية والجبلية إذا كان آلف كان له آثر، وكل طارف وتالد إذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ، وكل عدو صغير أو كبير إذا كان حميمًا فهو أعدى وأشد حسدًا، من لم يعرف مأواه فمحذور قربه.

والدول تنتقل والأرزاق قسومة فأجملوا فى الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتثابوا، والقضاء جالب يجلب الأمور، وخير النوم ما يذهب الإعياء والكسل.

ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر أن يكون حسنًا رائقًا، وبالخيشوم إذا كان طيبًا أرِجًا، وبالمذاق إذا كان حلوًا عذبًا، وبالسمع أن يكون صافى الوقع والصوت، وباللمس أن يكون لينًا ناعمًا[1].

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مرة فى غضون تآليفه المطبوعة، قال هى السمع، والبصر، والذوق، والشم، والمجسة - ولم يقل اللمس [كتاب الحيوان ج٣ ص ٨٩].

وكانت العجم تقول القلب والبصر شريكان، والطعم والحس متفقان، والفطنة والحفظ رفيقان، والسمع والمنطق مجتمعان.

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع، وفراسة الرجل السوء أن يكون منقبضًا غير منشرح، وأن يُرى لونه إلى الصفرة والكمود من غير مرض، وأن يكون طائش القلب، وأن يكون للدعابة والمزاح كارهًا له عائبًا، وإن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة.

ومن فراسة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقًا ذا منظر بهىّ وكلام شهىّ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق، وغير كاره للدعابة والمزاح، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعًا.

وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغى للعاقل أن يعتدَّ بقول سبعة من الناس بقول السكران، والدلال، والمضحك، والعليل، والعراف، والنمام، والنساء.

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو أهله

وصلى الله على محمد وآله وسلم

# تتمة للناشر

رأينا من المناسب أن نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمذانى - وهو قريب من عصر الجاحظ - فى (كتاب البلدان) له «فى ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشىء من الأمتعة دون غيرها» - وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ فى باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه.

قال أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه[1]:

ولولا أن الله عز وجل - خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيءٍ منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادى وذهب الشراء والبيع والأخذ والإعطاء، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع فى كل حين نوعًا من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا، ويستمتع قومٌ بأمتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير. قال الله عز وجل: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا» وقال الله عز وجل: «وقدَّرَ فيها أقواتًا».

فخص الله - جل وعزّ - بلاد «السند» و«الهند» بأنواع الطيب والجواهر كاليواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكركزن والفيل

(١) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١.

والطاووس والأعـواد والعنبـر والقـرنفل والسنبل والخـولنجـان والدارصـينى والنارجيل والهليلج والتوتياء والقنا والخيرزان والبقَّم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيـرة؛ وخص أهل «الصين» بالصناعات وأعطاهم ما لم يعط أحداً فلهم الحرير الصينى والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العـمل، ولهم أيضًا مسك إلا أنه ليس بجيد، وقالـوا إنما يتغير فى البحر لطول المسافة.

ثم «الروم» وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والأحكام والهندسة والحذق بالأبنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعـمل الكيمياء، ولهم من الديبـاج الرومى والبزيون، وفى بلادهم الميعة والمصطكى.

ثم هذه البلاد ومـا خصت به من الرمى فـهم رماة الحـدق ولهم الخيل العجيبة والأفراس السابقـة، وفى بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزى العـرب كأنهـا قطعة من بلاد اليـمن؛ ولأهل «المغرب» البـغال البـربرية والجوارى الأندلسية والنمور الزنجية.

ثم ما قد خص به أهل «مـصر» من النيل وعجائب ما فـيه من السمك والخيل والتـماسيح ولهم السـمك الرعاد والأسقنقور، ولـهم الثياب الدبيقـية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من أنواع ثياب الكتان والصوف من الأكـسيـة، ولهم البـغال المصـرية والحـمر المريسـيـة والثيـاب التنيـسيـة والإسكندرانية.

ولأهل (اليمن) الحلل اليمانية والثيـاب السعيدية والعدنية، وفى بلادهم الورس والكندر، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية، وفى بلادهم القردة

والنسناس وغيـر ذلك من أنواع العجائب؛ ثم (العـراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم ومـا قد خصَّ الله جلَّ وعـلا به أهل الكوفة خـاصة من عـمل الوشى والخزّ وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمـور والقسوب ما قد عدم مثله بالبـصرة والأهـواز وبغداد والحـجـاز مثل الهَـيْـرُون والمُشان وقـسب العنبـر والنِرسِيان، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة.

ثم قل فى عجائب (بغداد) مـا شئت التى قد اجتمع فيها مـا هو متفرق فى جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات، ولهم الذى لا يشركهم فيه أحد الثياب البيض المرْوية والزجـاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية، ولهم الدَّارش واللكَّاءُ خاصـة وفيهما أُعجوبة؛ وذلك أن الدارش يتـخذ من هذا الجانب واللـكاء من ذلك الجانب فلو جـهد صاحب الدارش أن يتخذ من جانب صـاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء أن يُتـخذ فى جانب صاحب الدارش لتعـذر عليه ذلك، على أنهم قد امـتنوا ذلك وجرّبوه ففـسد وتعذر عليـهم، وقد حمل المعـتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى مع تربتهـا ومائها وأمرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذى يتكسر.

ولأهل كورة دجلة والسـواد ومَيْسـان ودَسْتَ مِيـسان من عمل السـتور والبـسط وعمل المَيْـسانى والحـرير والدَّرانِك والدُّورَنْك وغيـر ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد.

ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور مـا عدم مثله فى جميع كور النخيل؛ وذكـر «الجاحظ» أنهم أحصوا أصناف نخل البـصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين وعُـمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها

وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم، وإذا ثلاثمائة وستون ضربًا من مغل معروف وخارجى موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب.

ولأهل (الأهواز) أنواع من السكر والتمور؛ ولأهل (السوس) خاصة (وجُنْدَيْسابور) حذق فى اتخاذ أنواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لأهل (تستر).

ثم (الجبَل) وعجائبها وما قد أُعطوا من لفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللوز؛ ولأهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهَّبة التى قد فاقوا بها وباتخاذها جميع أهل الأرض.

ولأهل (الرىّ) الأطباق المدهَّنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الأمشاط وغير ذلك من الممالح والمغارف، ولهم الأكسية البيض الطرازية والطيالسة البيض السرية والثياب المنيَّرة.

ثم بغداد الثانية أعنى (أصبهان) وما أُعطى أهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بأناع الصناعات، فلهم الثياب المروية والعتابية والملاحم العجيبة والحلل الإبريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية.

و(لفارس) فضل فى اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس: لقد ألان الله عزَّ وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخّره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا، فهم أحذق الأمة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن، ولهم الثياب الجُبَّائية والسينيزية، ولهم الماورد الجورى والطين السيرافى والأكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية.

ولأهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشَبَه والصفر؛ ولأهل (طبرستان) و(الديلم) و(قزوين) حظ من عمل الأكسية الرويانية والآمُلية واتخاذ الشتانك والمناديل وأشياء كثيرة من أنواع ثياب القطن والصوف والإبريسم والكتان.

ولأهل (جرجان) من الإبريسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل إلى جميع البلدان ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك.

ولأهل (نيسابور) الثياب اللحمة والطاهرية، ولهم التاختج والراختج وليس هذا إلاَّ لهم.

ولأهل (مَرْو) الثياب المروزية والملاحم الفائق التى هى أعلى الملاحم.

وبـ(خراسان) فواكه كثيرة سرية وأعناب طيبة، ولهم الزبيب الكُشْمهانى والكِشمِش وبطيخ يقدَّد، وقد كان فيما مضى يُحمل بطيخها إلى الخلفاء فى قدور نحاس لشدة خلاوتها ولذَّتها وطيبها (كذا بالأصل)، ولهم الأُشْترغاز والزَنجُذان والغُوشَنة والكيَلكان والرَّخْبين والمَلْبَن، وبها معدن الفيروزج واللازورد والرُكُب المروية والثياب السمرقندية، ولهم الأشْكن والخلنج وبها الخُتُوّ.

وبـ(الترك) السمور والفَنَك، وبـ(التُبّت) المسك التُبَّتى والدرق التبتية.

فسبحان من أعطى كلَّ بلد نوعًا من الخيرات وجنسًا من الصناعات، وتبارك الله أحسن الخالقين.

* * *

# الفهرست


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| توطئة للناشر | ٥ |
| النص المحقق | ١٣ |
| باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما | ١٩ |
| باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها | ٢٣ |
| باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة | ٣١ |
| باب معرفة الثياب وما يستجاد منها | ٣٧ |
| باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك | ٤٧ |
| باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك من جوارح الطير | ٥٩ |
| باب آخر | ٦٣ |
| تتمة للناشر | ٦٧ |